منهج الخطاب وطرق التواصل مع المتلقي

سهير أحمد عبد الحميد حسين (*)

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على منهج خطاب الاستنارة عند بوذا وسقراط، ذلك المنهج الذي يحمل أفكارًا وآراءً تنويرية ونقدية، أراد بها بوذا وسقراط توصيلها للمخاطب من أجل الإصلاح والتغيير، والتعرف على أهم الأفكار الفلسفية التنويرية، التي تمكنت من النهوض بمجتمعهما، وتحويله من حالة الركود والجهل، إلى العلم والفكر، فقد تمكنا بوذا وسقراط من خلال حديثهما عن خطاب الاستنارة، أن يكون هناك وعي وتفكير لدى الأفراد، وأن يكون لديهم الشجاعة في التخلى عن العادات والثوابت الرجعية التي تتميز بالسيطرة والعنف والتعصب وحب التملك، إضافة إلى الأنانية وسيادة المصالح الخاصة، وسيطرة القوي على الضعيف، وبناءً على ذلك عاش الإنسان في حالة في المعاناة والآلام، لذا استطاعا بوذا وسقراط أن يبحثا عن حلول لخروج الإنسان من أزمة معاناته.

الكلمات المفتاحية: خطاب الاستنارة، التأمل والبحث/ التلقين والوعظ

(*) هذا البحث مستل من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [خطاب الاستنارة بين بوذا وسقراط]، وتحت إشراف أ.د. مصطفى حسن النشار - كلية الآداب - جامعة القاهرة & أ.د. محمود السيد مراد – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

Absrtact

This study aims to identify the approach to enlightenment discourse of Buddha and Socrates, that approach that carries enlightening and critical ideas and opinions, which Buddha and Socrates wanted to communicate to the addressee for reform and change, and to identify the most important enlightening philosophical ideas, which were able to advance their society, and transform it from a state of stagnation And ignorance, to science and thought, Buddha and Socrates, through their talk about the discourse of enlightenment, were able to have awareness and thinking among individuals, and to have the courage to abandon reactionary habits and constants that are characterized by control, violence, fanaticism and love of ownership, in addition to selfishness and the rule of special interests, And the control of the strong over the weak, and accordingly man lived in a state of suffering and pain, so Buddha and Socrates were able to search for solutions to get man out of the crisis of his suffering

المقدمة:

لا يمكن لنا دراسة ظاهرة ما – إنسانية كانت أو طبيعية – أو دراسة مشكلة من المشكلات والوصول إلي حلول مقنعة لها دون أن نعتمد في ذلك على منهج (طريقة للتناول) يقودنا في النهاية إلي بلوغ الهدف من دراسة هذه الظاهرة. إننا نحتاج المنهج للوصول اولا إلي النظرية أو النسق الفكري الذي ننادى به، ونحتاجه ثانية لتوصيل ما انتهيا إليه من نظريات وافكار إلي الأخرين لنضمن لها الانتشار والتأثير. لابد إذن لكل فيلسوف من منهج يعتمد عليه لتوصيل أفكاره إلي الناس. ولئن كان المنهج مُهمًا للفلسفة، فهو أشد أهمية للعلم.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على طريقة المنهج التي اتبعها بوذا وسقراط في خطابهما للإستنارة واستفادة مجتمعهما منه، والتعرف على الطريقة التي استقبلها بها مجتمعهما، والمعاناة التي واجهت بوذا وسقراط أثناء حديثهما عن خطابهما للإستنارة، ولذلك يمكن صياغة أهداف هذه الدراسة في عدة تساؤلات محددة على النحو التالي:

- هل المنهج هو الأساس الذي يُمكن الفيلسوف من توصيل فلسفته؟.
- هل كان منهج بوذا مشابهًا لمنهج سقراط في طريقة الإلقاء؟.
- ما مدى استفادة مجتمعي بوذا سقراط من خطاب الاستنارة عندهما؟.

وينقسم هذا البحث إلى ثلاثة أجزاء كما يلي:

اولًا:- طرق تعلم بوذا وسقراط
١- التأمل والبحث
٢- الحكمة واخلاص

ثانيًا :- طبيعة المنهج
١- التلقين والوعظ
٢- التهكم والتوليد

ثالثًا:- طريق الإستنارة
١- نقد الفكر الموروث
٢- الإصلاح بتربية الرأي العام

أولاً : - طرق تعلم بوذا وسقراط

١- التأمل والبحث

مضى بوذا يبحث عن طريق أصلح ليتعلم منه، فظفر بمقر خمسة من الفقراء قد انقطعوا إلى برية "بوريفيلفا" يذلون حواسهم محافظين على فضيلة التقشف، متحملين قهر الجسد واذلال النفس، فأعجب بوذا بتعليمهم وبتقواهم وفضل أن يكون مجاوراً لهم، ثم استسلم إلى قمع جسده وقهره منصرفاً إلى حياة التأمل مما فاق الفقراء الخمسة تقشفاً وزهداً وتقى حتى أنهم نظروا إليه نظرة احترام وأقاموه

عليهم معلماً وسيداً. وقضى ست سنوات يمارس فضيلة النسك كافراً بملاذ الدنيا يروض عقله على حياة الزهد والقداسة، فكان لا يأكل من الطعام إلا الكفاف مرة واحدة في اليوم، راجياً بذلك أن يختار خضم الولادة والموت فيصل إلى شاطئ الخلاص. وسرعان ما ضعف جسده حتى أصبح خيالاً [١]. وتساقط شعره، وبدت أطرافه مثل سيقان الخيزران، وأصبح ظهره مثل حافر الإبل، تبرز أضلاعه من صدره، ومثلت عيناه وميض الماء في بئر عميق. [٢] ولكن عبق قداسته قد انتشر في كل ناحية فتقاطر الناس إليه من كل صوب وحدب ينظرون إليه ويلتمسون بركته. غير أن بوذا لم يرتاح كذلك لطريق الفقراء الخمسة بعد أن اتضح له أن قمع الجسد لا يوصله إلى ما يرغب فيه إن لم يقرنه بحياة التأمل، فجلس إلى جذع شجرة "جانبو" مفكراً بما جناه من ثمار التقشف، فرأى أن جسده قد ضعف وانحطت قواه وأن صيامه لم يدنه من الخلاص، وقد طلبه جاداً فما ظفر به، ثم قال: (إن ما قمت به لم يكن صواباً، فعلي إذن أن أعود إلى تقوية جسدي بالشراب والطعام ولكن ذلك غير صالح لامتلاك النفس)، ثم ذهب يغتسل في النهر، فنزل الماء، ولما أراد الصعود لم يقو لهزال جسده وضعفه، فتعلق بغصن شجرة يستعين به على الصعود من الماء، فتم له ذلك وترك النهر قاصداً مقره، وبينما هو ماش عثرت رجله فسقط أرضاً، وكان بالقرب من هذا المكان راع، وابنته الكبرى تدعى "ناندا" فرأت بوذا طريح الأرض فمالت إليه وسجدت وقدمت له عصير أرز، فاقتبل التقدمة شاكراً، ولما شرب مما قدمت له، تشددت قواه وتصلبت أعضاؤه وانجلى عقله، وشعر أنه أهل لاستقبال النور العلوي، وللحال عاد بوذا إلى الأكل، ولما شاهد تلامذته الفقراء الخمسة المشهد الذي قامت به "ناندا" ورأوا أن سيدهم قد عاد إلى حياته الأولى، وتراخت غيرته الدينية وتناسى القصد الذي رمى إليه، أخذتهم الشكوك، وعندما رآهم بوذا ينصرفون عنه أخذه حزن شديد لانفراده في الحياة، ولكنه اطمأن بعد ذلك إلى نفسه وخفف أحزانه، وأخذ يتجول في الأنحاء منفرداً، وقال تلامذته: (إن "سيدهارتا" سيدنا قد تركنا منفردين في نسكنا نطلب مسراتنا الروحية)[٣].

أما عن سقراط نجده يبدأ من مهنة والده الذي كان فقيرًا يكسب قوت يومه من مهنته وهي فن النحت. ولا يمكننا أن ننكر أن سقراط فشل في أن يصبح نحاتاً ماهراً كوالده، لأنه لم يمتلك المهارات البارعة التي تميز بها أباه في هذه الصنعة، فضلاً عن عدم قناعته من محاكاة الجمادات فكان همه صناعة العقول وليس صناعة الأبدان، لكنه استفاد من هذه المهنة في بناء فلسفته وتوصيل أفكاره

[١] - نفس المصدر ، ص٤١.

[2] - James Kingsland : " Siddharth,s Brain" , Un Locking the Ancient Science of Enlightenment , Harper Collins Publishers , New York , 2017 , p 20 , 21.

[٣] - بوذا :" الإنجيل " ، ص ٤١ – ٤٣.

للمجتمع، بتأمله في عمل والده الذي جعله دائم التساؤل حول: كيف حذق والده فن الضرب بالمطرقة! وكيف يحسن استخدام الآلات ليخرج رأس الأسد مثلاً من داخل الحجر؟!، وقد سأل سقراط والده ذات يوم: كيف عرفت الطريقة التي تضع بها إزميلك وإلى أي عمق تضربه حتى يخرج الأسد من قلب الحجر بهذا الجمال؟ فما كان من والده إلا أن اجابه قائلاً: "عليك بادئ ذي بدء أن ترى الأسد كامناً في الحجر، وتحس كأنه رابض هناك تحت السطح، وعليك أن تطلق سراحه، وكلما أحسنت رؤية الأسد أحسنت معرفة أين وإلى أي عمق تشق الحجر والعماد بعد ذلك بطبيعة الحال على التمرين والتدريب" [٤].

فكر سقراط في كلمات والده التى طورت لديه مهارة التأمل، والتي تشابهت بحديثه مع والدته، حيث كان يسألها عن سر مهارتها وشهرتها بين جاراتها في توليد الحبالى من السيدات؟ فكانت تجيبه: (إنني في الواقع لا أفعل شيئاً وإنما أكتفي بأن أعين الطفل على الانطلاق من رحم أمه)، وهكذا طرح سقراط في غير موضع من كتاباته بأن أمه تولد النساء من رحمهن أما هو فيولد الأفكار من عقول الرجال، ثم تعجب سقراط من تشابه إجابات والده بإجابات أمه، واختزن تلك الاجابات في عقله وتعلم منهما أن السؤال الصحيح قد يولد اجابات صحيحة، وأن المهم ليس في الإجابة بقدر ما يكون في السؤال، على سبيل المثال: إن اخراج الأسد من مكمنه في الحجر لم يكن ليكون لولا إجادة تصوره رابضاً بداخله، ولولا إجادة استخدام الوسائل لإخراجه! وهكذا الحال في الفكر، وبهذا الحال تمتع سقراط بمهارة فن السؤال، ذلك السؤال الذي من شأنه أن يولد العقول أفكارها سواء كانت حقيقية أم زائفة، وكثيرا ما قال سقراط أنه قد استفاد في هذا من مهنة والدته، لان مهارته في توليد الرجال لأفكارهم مكتسبة من مهارة والدته في توليد النساء الأطفال كما ذكرنا[٥].

٢- الخلاص والحكمة

هناك عدة أسباب دفعت بوذا وسقراط في بحثهما عن الخلاص والحكمة، فالأسباب التي دفعت بوذا لهذا الطريق: أحزانه الثلاثة التي جعلته ينتبه بأن يرى العالم ويختبر ما فيه. فأثناء سيره في الشوارع والطرقات بعربته التي يجريها حوذيه "شانا"، رأى رجلاً مهموماً متقدماً في السن على قارعة الطريق، رسمت الكآبة على وجهه أثر الحزن وبلاء الأيام، فسأل حوذيه: من يكون هذا الرجل؟ وقد اشتعل رأسه شيباً وتجعدت تقاسيم وجهه وغارت عيناه وانحطت قواه حتى أنه لا

[٤] - مصطفى النشار : " تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي "، ج٢ : "السوفسطائيون ،سقراط، أفلاطون" ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص ١١٠.

See also:- Debra Nails : " The Trial and Death of Socrates " , A companion to Socrates , Edited by :Sara Ahbel -Rappe and Rachana Kamtekar , Op.,Cit.,P6.

[٥] - مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، ج٢، مرجع سابق ، ص ١١١.

يقوى على النهوض، فارتبك الحوذي لأنه لا يريد أن يتأثر الأمير بوذا بأي مشاهد مأساوية ويعاقبه والد بوذا على ذلك، لكن لم يقدر إلا أن يدلي بالحقيقة فقال: إنها علامات الشيخوخة وبلوغ أرذل العمر، على أنه كان في مطلع الشباب حسن القوام قوي البنية حديد النظر، وأما الآن فقد أنهكته هموم الحياة، وذهبت السنون بجماله وطراوته، فتأثر بوذا برد الحوذي ولاحظ في ضمير نفسه بأن لا سرور ولا فرح ولا طمأنينة تدوم، فمع تقدم السن فكل شيء زائل [٦].

هذا عن الحزن الأول وهو رؤيته لرجل مهموم متقدم في العمر. أما عن الحزن الثاني وهو رؤيته لمريض ملقي على قارعة الطريق يئن وجعاً، فسأل الأمير حوذيه: ما خبره؟ قال: إنه مريض لأن عناصر جسمه الأربعة قد اختل نظامها ولذلك فهو مريض يتألم وكلنا عرضة لذلك، فلا فرق في ذلك بين غني وفقير، حكيم وجاهل، وإنه ليصيب ذلك كل حيّ على السواء. فتألم بوذا لهذا المشهد وحزن حزناً شديداً، مما جعل الحوذي يستحث الخيل على المسير لينقذ الأمير من مناظر البشرية المتألمة. وإذا بهما أمام المشهد الثالث: فقد رأى الأمير أربعة أشخاص يحملون جثة، فسأل حوذيه: ما يحمل هؤلاء؟ وما هذه الأكاليل من الزهر، والناس من ورائهم حزانى مُطرقين؟ قال: انه رجل ميت، قد تقطعت أنفاسه فهمد جسمه ونَدَت عنه الحياة فسكنت أفكاره، وهؤلاء ذوه ومحبّوه يشيّعونه إلى المرقد الأخير. فاضطرب الأمير وحزن وأردف يقول: أهو وحده يموت أم أحياء العالم يصيرون مصيره ؟ أجابه الحوذي بقلب منكسر: كل حي في العالم مصيره إلى الفناء، كل من بدأ الحياة عليه أن ينهيها فلا مفر من الموت. هنا صاح الأمير بصوت كئيب: إذن كل ما في العالم باطل ، فالجسم مصيره إلى التراب، فلا استمرار للحياة. ولاحظ الحوذي تأثير الأمير وما حل فيه من كآبة، فلوى ألسنة الخيل ورجع يطلب قصر الأمير. وبينما هما في الطريق شاهد الأمير قصور النبلاء، ولمح الأميرة "كريشا كوتامي" الشابة النديّة، ذات العفاف والطهارة، وسمعها تقول: طوبى للأب الذي جاء بك، ومباركة الأم التي ألقمتك ثديها، ومغبوطة المرأة التي صرت لها زوجاً. أما الأمير فقال: طوبى للذين عرفوا طريق الخلاص وسلامة الضمير، وها أنا ذا أبحث عن بركة "النيرفانا" وقدم لها عقد لؤلؤ ثميناً ورجع إلى منزله كئيباً [٧].

دخل بوذا قصره ونظر إلى ما فيه من كنوز بازدراء. ورحّبت به زوجته وأخذت تستدرجه لتكشف خبر حزنه، فقال لها: لقد رأيت أثر التغير في كل مكان فتكاثرت هموم قلبي، وأحزنني الأحياء إنهم يولدون ويمرضون وأخيراً يموتون، فلا استمرار للحياة، فكل ما في العالم تنغيص لها. وعرف الملك ما نال ابنه من أحزان فتأثر وأحس كأن سيفاً يحوز في حشاشته. ومن هنا نرى أن رؤية بوذا

[٦] - بوذا : الإنجيل ، مصدر سابق ، ص٢٣ ،٢٤.
[٧] - بوذا: مصدر سابق ، ص ٢٤ ،٢٥.

للعالم المملوء بالظلم والجهل، ورؤيته بأنه لا أحد يقدر أن يشفي أمراض الوجود، جعلته يفكر ويبحث ويتأمل في طريق الخلاص لكي ينقذ نفسه وينقذ به العالم من الآلام والأحزان[٨].

نقول أيضاً إلى جانب الأحزان الثلاثة التي مر بها بوذا وآثرت نتائجها على نفسيته، نجد أن هناك بشارات أخرى ساعدت بوذا على التشجيع في السير لطريق النجاة والخلاص، منها رؤيته للوجه النبيل الذي يدعى"شارمانا"، الذي ترك منزله وسلك يبحث عن الخلاص، ويسعى وراء السعادة الدائمة، يسعى وراء الكنز الذي لا ينضب، وراء الحياة التي لا تعرف بداية ولا نهاية، ومن أجل هذا كله ترك العالم بأفكاره، وعاش عيشة نسك وانفراد. بعد أن رأى أن كل شيء ينحل ولا دوام إلا للحقيقة، وكل شيء لا يلبث طويلاً حتى يتغير، فسأله بوذا: أيمكن للسلام أن يكون في هذا العالم المضطرب، وقد رأيت بعين رأسك أن كل متعة باطلة وكل سعادة عالمية زائلة ؟ فأجابه "شارمانا": حيثما تكن الحرارة فهناك البرودة، والخليقة بأسرها عرضة للأحزان كما أنها عرضة للسرور وروح الشر. فالخير يتزايد، وبإزائه ينمو الشر، وحيثما تكن لعنة تكن بركة بشرط أن تفتح عينيك وتبحث. وما مثل المرء إلا كمثل من سقط في بركة غامرة قد نبت فيها "اللوتس" وهو يبحث عن زهرة يتشبث بها فينقذ نفسه من الغرق ويصل إلى الميناء الأمين إلى النيرفانا متطهراً من خطاياه، فإن لم يظفر بالبحيرة فما الذنب على البحيرة إذا لم يجدها وهي موجودة؟ فعلى المرء أن يبحث عن الطريق الذي يؤدي للوصول للبركة، فيتطهر من خطاياه ويصل إلى خلاص النيرفانا، وإذا لم يجد الطريق إليها، فليس الذنب ذنب الطريق ولكن ذنب الذي لم يعرف أن يسلكه. على سبيل المثال الرجل الذي يشعر بمرض يذهب حالاً إلى استشارة الطبيب ليبرئه من مرضه، فإن ضل طريق الطبيب فما الذنب ذنب الطبيب لأن المريض لم يسرع إليه، لذا وجب على الإنسان أن يبحث عن الطريق الذي ينقذه من خطاياه ويطهره[٩].

أما عن الأسباب التي دفعت سقراط للبحث عن الحكمة وخلاص العالم من الجهل، رؤيته لشيبية الأثينيين يتحدثون في كل شيء وعن أي موضوع، وفي كل وقت وفي أي مكان، يتحدثون في السوق صباحاً وفي الملعب بعد الظهر، وفي حفلات العشاء والنوادي مساءً. وكان كل منهم يتحدث بما يدور في ذهنه وحسب هوايته، واستمع سقراط لأحاديثهم وفكر فيما كان يقال. لكنه اكتشف أن كثيراً من الكلام الذي قيل كان يتعلق بموضوعات لا يعرف عنها المتكلمون شيئاً متخذين من السوفسطائيين معلمين لهم عوضاً عن كتب الحكمة ومطالعة كتب الفلاسفة القدامى، وبالتالي لم يكن لديهم العلم الكافي بحقيقة ما يتحدثون حوله، بل كان الكثيرون منهم يتناقضون في كلامهم دون أن يدركوا هذا التناقض. وعندما تأمل

[٨] - نفس المصدر ، ص ٢٥ ،٢٦.
[٩] - بوذا: مصدر سابق، ص ٢٦ ،٢٧.

سقراط في أحاديثهم وجدها تحمل في طياتها علما زائفا يدعيه أناس لا يعرفون شيئاً عن حقيقة ما يتحدثون عنه. إن كل منهم يدعي المعرفة ويمتلك الحقيقة ومن ثم يتحدث حديث الواثق بينما الواقع أنه لا يعرف شيئاً، لذا تحير سقراط كثيراً وتساءل: أيمكن حقا أن يكون كل هؤلاء الناس علماء وأن يكون هو وحده الذي يطلب العلم ويتساءل حول الحقيقة في كل ما يستمع إليه من حوارات ومناقشات تدور بين الأثينيين صباحا ومساء؟ [١٠].

وإلى جانب العلم المزيف الذي رآه سقراط لدى الأثينيين، فهناك حافز آخر شجع سقراط في طريقه ألا وهو قول إله معبد دلفى- الإله "أبوللون" على لسان كاهنة المعبد - إنه ليس هناك بين اليونان من هو أحكم من سقراط، والتي جعلت سقراط يتحير بالفعل أمام ما يقصده الإله. لأنه يدرك أنه ليس عالماً في أي ميدان من ميادين المعرفة وأنه ليس بالتالي حكيما ولكن الإله لا يمكن أن يكذب ، فهذا لا يجوز، فكان على سقراط إذن أن يبحث عن معنى النبوءة التي كانت كعادة نبوءات كاهنة معبد "أبوللون" غامضة، فأخذ يمسك بمدعي المعرفة، أو بمدعي الحكمة، واكتشف بأنهم ليسوا حكماء على الحقيقة، وإنما يدعون العلم فقط، ثم وجد نفسه متميزاً عليهم بأنه مثلهم لا يعرف شيئاً معرفة العلم، ولكنه لا يدعي مثلهم المعرفة، ولهذا فهو أحكم منهم [١١].

ظل سقراط فترة طويلة يتدبر معنى نبوءة الإله، ويحتار فيها فبدأ يتأكد منها، بمهارة الفحص. فقرر أن يسأل الآخرين لعله يجد فيهم من يتميز بالحكمة ويكون أعلم منه، وإذا تحقق من صحة هذا، فإن الإله لن يكون محقاً في القول بأن سقراط أحكم اليونان. ومن هنا قال سقراط: (لهذا السبب ما زلت أروح هنا وهناك باحثاً وفاحصاً - بحسب كلمة الإله - المواطنين أهل هذه المدينة والغرباء، حينما أعتقد أن أحدا منهم حكيم . أما حينما لا يبدو لي أنه كذلك، فإني أظهر له، مدافعا عن كلمة الإله، أنه ليس حكيماً.) ومن ثم أخذ سقراط على نفسه مسئولية فضح جهل المتحدثين معه باعتباره "مدافعاً عن الإله" أو "مساعداً له"، أي أنه أخذ على نفسه تكليفا بنقل مضمون النبوءة إلى الآخرين وفحصهم على أساسه وبيان جهلهم. لذا اعتبر نفسه في "خدمة الإله"، وذلك بعد إدراكه لطبيعة النبوءة فهو ينفذ أمر إلهي فأصبح مبعوث الإله أو هديته أو "هبته" إلى الأثينيين. وكرس وقته لهذه الخدمة، لأن الإله هو صاحب الأمر. وما دام الإله كذلك فإن سقراط سيظل مؤدياً واجبه حتى النهاية ومهما تكن الأخطار، لأنه كان هناك شيء يخشاه أكثر من خشيته لعداوة البشر ألا وهو عصيان الإله لذلك نجده يقول: (أيها الأثينيون، إني أعزكم

[١٠] - مصطفى النشار : مرجع سابق ، ص١١١.
[١١] - أفلاطون : "محاورة الدفاع "، ٢١ ب ، ص ٧٢ ،٧٣.

وأحبكم، ولكني سأطيع الإله أكثر من أن أطيعكم) لذا كان الأصل في هذا كله هو طاعة الإله[١٢].

أخذ سقراط يذهب إلى أحد هؤلاء الذين يظنون أنفسهم حكماء وكان أحد رجال السياسة ليفحصه، وأثناء فحصه بدا لسقراط أن هذا الرجل يبدو في نظر نفسه والآخرين حكيما، لكن كانت المفاجأة أن سقراط بين له أنه ليس حكيما، فكانت النتيجة أنه حقد على سقراط هو وكثير من الحاضرين. ثم أدرك سقراط بعد فحصه لهذا الرجل أنه أحكم منه، وبرر سقراط بأنه أحكم منه بناء على أن الرجل الأثيني يدعي دائما بأن لديه معرفة بكل شيء وهو في الواقع لا يعرف شيئا، اما سقراط لا يدعي تلك المعرفة بل دائما يقول أنه لا يعرف شيئا. فمن خلال تفرقة سقراط بين ما يعتقده وما يعتقده الرجل الأثيني وضح سبب قوله بأنه أحكم قليلا من هذا الرجل. ولم يكتف سقراط بفحص هذا الرجل فقط، بل ذهب لفحص من يعتبر نفسه أحكم من السابق وظهر له نفس الشيء. واستمر في الذهاب واحدا بعد الآخر ، حتى قال في النهاية بعد فحصه لرجال السياسة: (هؤلاء الذين كانوا مشهورين أكبر شهرة بالحكمة بدوا لي - إلا في النادر - بعد فحصي لهم بحسب ما قاله الإله، أفقرهم إليها، على حين أن آخرين كانوا يظنون أقل منهم كانوا في الحقيقة رجالا أجدر من وجهة نظري الحكمة)[١٣].

وبعدما انتهى سقراط من فحص رجال السياسة، ذهب بعد ذلك إلى الشعراء وخاصة شعراء التراجيديا والشعراء الغنائيين، لعله يجد فيهم من يتميز بالحكمة ومن هو أحكم منه ويكون أكثر علما منهم، واصطحب معه مؤلفاتهم وعلى الرغم من الجهد المبذول في هذه المؤلفات إلا أنه اكتشف: (أنهم لا يكتبونها على أساس من العلم، بل بنوع معين من الموهبة الطبيعية وفي حالة من الإلهام على طريقة المتنبئين الموحى إليهم والمنجمين، وأنهم يقولون أشياء كثيرة جميلة ولكنهم لا يدرون شيئا عما هم قائلون)، فتفوق سقراط عليهم كما تفوق على السياسيين.[١٤] ثم استجوب سقراط الفلاسفة والحكماء، هؤلاء الرجال الذين دائما ما يعلموا أهالي أثينا أنهم على علم واتضح من استجوابهم أنهم لا يعلمون شيئا. [١٥]

نضف إلى ذلك أن إخضاع المعتقدات الثقافية المعتنقة دون تفكير ودون تدقيق في صحتها كان جزءًا من نشاط شخصية سقراط، وعمل جاهدا في إصلاحها. لذلك كان يستفز أولئك الذين استقرت أنفسهم على الحكمة التقليدية والقطعية (الدوجماطقيا) المتعسفة.[١٦] لذا كانت مهمة فحص الآخرين لدى سقراط تلخص

---

[١٢] - نفس المصدر، فقرة ٢٣ ب ، ٢٩ د ، ٣١ أ – ب ، ص٧٣ – ٧٥ ، ١١.

[١٣] - أفلاطون، محاورة الدفاع ، فقرة (٢٢أ) ، ص ١٠٨ ،١٠٩.

[١٤] - نفس المصدر ، فقرة (٢٢ ب ، ٢٢ج ،٢٣ب) ، ص ١١٠ ،١١١.

[15]- William Bodri : Op. Cit., p10.

[16] - Susan Bickford : "This Way of Life , This Context" : Rethinking Socratic Citizenship", The Cambridge Companion To Ancient

جوهر فلسفته وطريقة حياته. فهي تجسيد لحياة مدروسة لنرى ما تتطلبه الحياة منا، بمعنى هل كل الآخرين يعيشون حياة لا قيمة لها حقا؟ هل لدى سقراط أسباب وجيهة لانتقاد الطريقة التي يتصرف بها جزء كبير من الجنس البشري؟ ما هي القيمة التي يمكن أن نحصل عليها من وراء الحياة المدروسة؟ ما هو الشيء الجيد في الحياة المدروسة لشخص قادر على عيشها؟ سنجد من وراء ذلك أن من الفلاسفة الأخلاقيين من يؤيدون جوهر فلسفة سقراط وهي فحص الآخرين لا من أجل إيذاء الآخرين مثل التدبير المغرض والماكر للقتل، أو الاعتداء، أو السرقة، وإنما لكي نجعل منه إنسانًا صادقًا وعادلًا ولطيفًا ومتسامحًا، وأن نفعل ما هو صحيح أخلاقيًا لأنه صحيح، وليس كاستراتيجية لتحقيق غايات غير أخلاقية[١٧].

وهدف سقراط من ذلك أن يتوصل إلى الفحص الذاتي، أي أن يفحص الإنسان نفسه ويخلصها من المعتقدات الخاطئة، لكي يتمكن من الوصول إلى الحقيقة، لأن الحقيقة موجودة بداخله [١٨]. لذلك فالدعوة إلى الحياة المدروسة مرتبطة بإجراء مناقشات كل يوم حول الفضيلة، وغيرها من الأمور الأخلاقية، لذا قُسمت المدينة المثالية عند أفلاطون تلميذ سقراط إلى ثلاث فئات: فلاسفة، جنود، عمال. وقد اكتسب سقراط من دعوته إلى الفحص الذاتي مكانًا قريبًا من مكانة المسيح والزعماء الدينيين الآخرين الذين كانوا يُنظر إليهم على أنهم النماذج الأخلاقية العظيمة للوجود البشري. لذا قال مترجم أفلاطون بنامين جويت Benjamin Jowett في أواخر القرن التاسع عشر لطلابه في أكسفورد: (إن السيرة الذاتية التي نهتم بها بشدة - وإن لم تكن بنفس الدرجة - هما المسيح وسقراط)، وتستمر المقارنة بينهما حتى القرن العشرين، ويُعامل سقراط على أنه إنسان نموذجي جنبا إلى جنب مع بوذا وكونفوشيوس والمسيح من قبل الكاتب الوجودي كارل جاسبرز Karl Jaspers (1962)، لكن في السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين، لم تكافح الفلسفة الأخلاقية الأكاديمية من أجل التصالح مع سقراط كما هو الحال مع أرسطو، وهيوم، وكانط، ونيتشه، بل إنها تجاوزته [١٩].

Political Thought, Edited by: Stephen Salkever , Cambridge University Press , New York , 2009 , p127.

17 - Richard Kraut : " The Examined Life" , A Companion to Socrates , Edited by :Sara Ahbel – Rappe and Rachana Kamtekar , Op. Cit., p 228.

18 - Christopher Rowe: "Self Examination", The Cambridge Companion to Socrates, edited by: Donald R. Morrison, Cambridge University Press, New York, 2011, p 201,202.

19 - Richard Kraut: Op. Cit., p 229.

إن الحكمة هي أعظم فائدة يمكن أن يمتلكها الإنسان، لذلك نجد أن محادثات سقراط الأخلاقية قربته من الحكمة أكثر من أي إنسان آخر.[٢٠] فالمرء يكون سعيدًا ومحظوظًا إذا استطاع أن يكتسب الحكمة والاعتقاد الصادق المؤكد حتى وهو على أعتاب الشيخوخة. فمن استطاع أن يملكهما، يصبح نموذجا للإنسان الكامل.[٢١] ومن هنا ذكر سقراط في محاورة الدفاع نوعين من الحكمة: حكمة إنسانية وحكمة إلهية. ووصف الحكمة الإنسانية بأنها حكمة سلبية لأنها قليلة القيمة أو بغير ذات قيمة على الإطلاق، ولأنها مقتصرة على تحديد قيمة المعرفة التي تخص الإنسان فقط، أما الحكمة الإلهية فهي أسمى من الحكمة الإنسانية وتقع في علم الإله فقط لأنه وحده الذي يمتلكها فهو كما يقول عنه سقراط بأنه "الحكيم حقيقة" أي أن الإله هو وحده الحكيم، وهو الذي يملك القدرة أن يهبها لمن يشاء من البشر. لذا ليس من السهل الوصول إليها. وبالرغم من تلك النبوءة التي أخبرتنا بأن سقراط هو الأحكم ما بين البشر، والتي تجعلنا نعتقد بأن سقراط هو الشخص الوحيد الذي اختاره الإله للوصول إلى حكمته الإلهية، إلا أن سقراط يفسر تلك النبوءة كما ذكرنا فيما سبق بأنها لم يكن الغرض منها بأن سقراط هو الشخص الذي توصل إلى حكمة الإله، بل إن الإله أراد بها أن يخبره ويخبر البشر بأن الحكيم هو من يدرك أنه ليس شيئا بالنظر إلى الحكمة الحقيقية وهي حكمة الإله. ومن ثم أخبرنا سقراط بأنه حاز على هذه الحكمة الإنسانية، أما عن هؤلاء الذين اعتقدوا في أنفسهم بأنهم حكماء، فإن سقراط يسخر منهم ويسمي تلك الحكمة ب "فوق الإنسانية" أي التي لا تزيد عن أن تكون ادعاء للحكمة، ومثل ما وضحنا سابقا أن صوت ضمير بوذا كان يتردد عليه بين حين وآخر يدله على طريق الخير ويؤكده له، فإن سقراط كذلك الأمر كان لديه صوت يتردد عليه وينبهه لفعل الخير لكنه كان صوتا إلهيا يظهر له دائما وبتكرار مستمر، حتى أن سقراط إذا عزم على شيء على نحو غير سليم كان الصوت الإلهي يعارضه[٢٢].

ثانياً : - طبيعة المنهج

١- التلقين والوعظ

اعتمد بوذا في منهجه على اسلوب التلقين والوعظ والتدريس بشكل عام، الذي كان أحد الأساليب الماهرة لديه، وكان يستمع لحاضريه ويرد على أسئلتهم. كان بوذا يتعامل مع الأسئلة بطريقة تحليلية دقيقة، البعض منها كان يجيب عنها مباشرة، والبعض الآخر كان يجيب عنها بعد تحليله له لأول مرة لتوضيح طبيعة السؤال، وللكشف عن الدوافع والافتراضات الخفية، ولم يكن يظهر لديه أي ضيق

---

[20] - Ibid.,p230.

[٢١] - أفلاطون :" القوانين " ، الكتاب الثاني ، ص١٢٣.

[٢٢] - أفلاطون :" الدفاع " ، فقرة (٤٠ أ) ، ص ١٣٠.

إذا كان الآخرون قد اختلفوا معه، لكنه كان يسخر من الادعاءات الخاطئة.[٢٣] وكان بوذا يقدم المشورة لكل من يرغب في الالتفات إليها، داعيا إياهم إلى الاستماع والتأمل والفحص النقدي لما كان عليه أن يقوله، وكان يتجول من بلدة إلى أخرى، ويوجه الرهبان والراهبات، ويلقى الخطب لأصحاب المنازل الذين توافدوا لسماعه، وينخرط في مناقشات مع جميع طبقات المجتمع [٢٤].

وبالرغم من أن الجميع من البشر كانوا يسمعون كلامه ويطبقوا ما يقولونه، إلا أنه كان ينصح بعدم تقبل أي شيء يقوله على أنه صحيح لمجرد أنه القائل. ونلاحظ ذلك في قوله: (لا تقبل أي شيء أقوله على أنه صحيح ببساطة لمجرد أنني القائل، بل عليك أن تقوم باختباره كما تفعل مع قطعة الذهب لترى إذا كانت أصلية أم لا، فإذا وجدت، بعد فحص تعاليمي، أنها صحيحة، ضعها في الممارسة، ولكن لا تفعل ذلك من باب الاحترام لي)، وهذا ما أخذه المعلمون البوذيون من أميرهم للتطبيق في حياتهم وفي تدريسه لتلاميذهم بأن يكونوا متشككين في التعاليم التي يتلقوها، وعدم قبول ما يسمعوه أو يقرأوه بشكل سلبي وفي نفس الوقت أيضاً عدم رفضها تلقائياً، بل لابد من استخدام ذكائك، أن تنظر بنفسك عما إذا كانت هذه التعاليم منطقية أم لا، فإذا وجدتها تناسبك، فقم بتطبيقها، بقدر ما تسطيع، وإذا لم تناسبك، اتركها. وهذا ما جعل التعاليم البوذية جذابة بشكل خاص للعديد من الغربيين لأنها تشجع على استخدام النطاق الكامل لقدراتك وذكائك العقلي والعاطفي والروحي، بدلاً من وضع ثقتك العمياء في ما كل ما يقال[٢٥].

٢- التهكم والتوليد

كان سقراط ناقدا اجتماعيا فلسفيا في مدينة أثينا، تميز بأسلوب الألغاز والتناقض الظاهري، واتضح هذا الأسلوب في عباراته التي ادعى فيها بأنه جاهل ولكنه في ذات الوقت كان حكيمًا.[٢٦] أيضا نرى أن هناك إشارة ضمنية إلى أن سقراط يمكنه التعرف على الحقيقة والباطل أثناء تأدية عمله، وهذا تناقض واضح عند مقارنته بإنكاره لأي حكمة.[٢٧]

اصطلح على تسمية الطريقة التي استخدمها سقراط في نشر رسالته التنويرية باسم "منهج التهكم والتوليد" The irony and maieutic وهو منهج مكون من

---

23 - Peter Harvey : Op., Cit., p 29,30.

24 - Bhikkhu Bodhi : "In the Buddha,s Words: An Anthology of Discourses From the Palicanon" , Wisdom Publication , Somerville , United States , p 8, 38.

25 - Jonathan Landaw , Stephan Bodian and others : "Buddhism For Dummies" , Wiley Publishing , Inc, Canada , 2011, p 41 ,42.

26 - Josiah Ober: "Gadfly on Trial Socrates as Citizen and Social Critic ", Op. Cit., p1.

27 - Harold Tarrant : Op Cit , p262.

مرحلتين: الأولى وهي مرحلة التهكم والسخرية وتمثل مرحلة الهدم، هدم الأفكار القديمة والخاطئة لدى محدثيه الذين كانوا يعتقدون قبل الدخول في الحوار مع سقراط أنهم اعلم الناس بحقيقة ما يسال سقراط عنه. أما المرحلة الثانية فهي مرحلة التوليد، مرحلة البناء والتشييد للأفكار الصحيحة التي تعبر حقا عن المعنى الحقيقي للشيء المتحدث عنه . وكانت المرحلتان تتمان على الطريقة السقراطية في طرح الأسئلة الخبيثة من جانب سقراط والتي يعتقد المحاور الثاني أن اجاباتها سهلة وميسورة وتنتهي بتسليم الخصم بجهله وطلبه الحكمة من سقراط. من هنا جاء تشبيه سقراط بذلك النوع من الأسماك الذي يخدر من يقترب منه. لقد اتخذ سقراط من احتراف الجهل – كما يقول ولتر ستيس – سلاحا هجومياً، وتحول على يديه إلي سلاح خطابي استخدمه ببراعة ضد أولئك المتباهين بأهميتهم وحكمتهم، والمتظاهرين بمعرفة ليست لديهم. أخذ في فضح التظاهر الكاذب بالمعرفة دون هوادة سواء أكان لدى القادة أو القضاة أو الحكام أو أي إنسان مهما كان قدره ومكانته الاجتماعية وعلى الملأ ودون خوف أو خشية.[٢٨]

استخدم سقراط اذن المنهج الجدلي في مناقشاته مع المدعين وكان دائما يردد أنه لا ينتج فكراً، وأنه اكتفى بتوليد أفكار الآخرين، وأنه لا يدعى الحكمة وإن كان بإمكانه أن يساعد الآخرين على اكتشافها. ولخص تلميذه أفلاطون هذا المنهج في كلمتين اثنتين هما: التهكم والتوليد، ويقصد بالتهكم: تصنع سقراط الجهل التام بما يمتلكه الآخرون من علم ومعرفة، ثم يأخذ في طرح الأسئلة عليهم بعد أن يتظاهر في البداية أنه مسلم بكل ما يقولونه عن الموضوع، وعن طريق الإجابات التي يطرحها من يتحاور معه وتفنيدها واحدة بعد الأخرى واظهار ما بها من تناقضات وما يترتب عليها من شكوك ينتهي الخصم إلى الإقرار بجهله[٢٩] .

عن طريق منهج التهكم والتوليد لم يجبر سقراط أحداً على تقبل آرائه الشخصية، بل كان يعطى حرية الاختيار للمحاور لما يعرضه عليه من أفكار وأمثال، وعلى المحاور إما أن يتقبل ما يعرضه عليه سقراط وإما يرفضه. فإذا اتفق معه فيما يقوله فإنه يؤمن بأن فكرة سقراط صحيحة، وإذا لم يتفق معه فإنه لابد من إعطاء حجة لبيان الرفض، وتميز سقراط في هذه النقطة بالشغف لكي يسمع حجج وبراهين المحاور على رفضه، وكان تصريح سقراط للجميع بأنه لا يُخدع أحدا حتى نفسه لا يخدعها، فكان مثل النحلة التي تترك لدغتها وتذهب[٣٠]. وقد لخص سقراط طريقته التعليمية هذه في محاورة ثياتيتوس لأفلاطون عندما قال: (إن عندي نفس العجز الذي لدى القابلات، إذ ليس بمقدوري أن ألد الحكمة

---

[٢٨] - ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ١٥-١٦ .

[٢٩] - مصطفى النشار : " تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي " ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص١٢١ ، ١٢٢.

[30] - Debra Nails :" The Trial and Death of Socrates " , Op. Cit., p17.

... غير أن السبب في ذلك يعود إلي أن توليد الحكمة من عقول الأخرين هو فرض علي من عند الآلهة، لذلك فأنا فلست حكيما. إن اولئك الذين يأتونني ويبدو عليهم أنهم لا يعرفون شيئا، ثم بفضل من الاله يبدون تقدما عجيبا في نظر انفسهم ونظر الاخرين كلما اقتربوا مني فالواقع انهم لا يتلقون مني شيئا، وانما هم يستخرجون بأنفسهم من ذواتهم ما تنطوي عليه نفوسهم من أفكار تصوروها واكتشفوها وتم توليدها بفضل من الاله وبجهد مني معهم.)[٣١]

ثالثاً :- طرق الاستنارة

١- نقد الفكر الموروث

رأى بوذا أن أغنى رجل في العالم لا يستطيع أن يمنع نفسه من المرض أو الشيخوخة، وأدرك أن أكثر الملذات إثارة ستختفي، ولن يكون هناك شيء مثاليا، ولا شيء دائم. فكل شيء أحبه كان عرضة للتغيير والموت والانحلال.[٣٢] ولا مولود سيولد ويكون بمأمن من الشيخوخة حتى أولئك الخطاة الأثرياء – الأغنياء، ذوى الثروة والممتلكات العظيمة، الممتلئة بالذهب والفضة، والكنوز والسلع الوفيرة، والثروة والاموال لا ينجون من الشيخوخة والموت. حتى أولئك البراهمة الأثرياء – أصحاب المنازل والقصور سيمر بهم الموت. فالملوك المهووسون بالجشع من أجل الملذات الحسية، الذين حققوا سيطرة على بلادهم وحكموا مساحات كبيرة من الأراضي، ودخلوا في معارك عديدة بالفرسان والعربات والمشاة والأفيال وانتصروا فيها، ونجحوا وحققوا ثروات عديدة، إلا أنه لا توجد فرصة لهم للنجاح عندما يتقدموا في السن وتحل بهم الشيخوخة والموت.[٣٣] واندهش بوذا من رؤيته للناس يسيرون في حياتهم وينعمون بها ولا يفكرون في المصير المؤلم الذي ينتظرهم، بينما هو يشعر في نفسه بالخوف والجزع كلما فكر في حتمية الشيخوخة والمرض والوفاة، ففي كل مكان يذهب إليه يرى المعاناة[٣٤].

ومن هنا تعهد بوذا بإنقاذ البشر من معاناتهم، ومن أفكارهم الخاطئة بمساعدتهم على فهم الحقيقة والتوصل إليها، فأنت قادر على الوصول إليها باستحضارك للعقل والتخلي عن آرائك السابقة.[٣٥] لكن هذا فقط مع أولئك الذين يريدون أن يتحرروا من أحزانهم، أما أولئك الذين تملكت الرغبة في قلوبهم وحب الشهوات ولا يريدون أن ينفكوا عنها، فهؤلاء سيظلون يعيشون في معاناتهم إلى أن

---

[٣١] - أفلاطون: ثياتيتوس، ترجمة أميرة حلمي مطر، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠، فقرة ١٥٠، ص٣٤ .

[32] - James Kingsland : Op. Cit., p 22.

[33] - Bhikkhu Bodhi : Op. Cit., p58.

[34] - Jane Hope , Borin Van Loon : " Introduction Buddha " , Op., Cit.,p 25, 26.

[35] - Stephen Mitchell : " Dropping Ashes on the Buddha " , The Providence Zen Center , Inc , New York , 1976, P11,13.

يوقع بهم المصير المحتوم. ونلاحظ ذلك في قوله للرهبان: (على الرغم من أن المحيط العظيم يجف ويتبخر ولن يعد موجوداً، وعلى الرغم من أن الأرض العظيمة تحترق وتهلك ولن تعد أيضاً موجودة، فلا زلت أقول لكم، بأنه لا توجد نهاية سعيدة لمعاناة الكائنات الذين يتجولون على نحو ضال، يعرقلهم الجهل وتتملكهم الرغبة)[٣٦].

لقد أدرك بوذا بأن العلم والاستنارة يكمن فيهما الخلاص وأن الجهل هو سبب المعاناة التي يعيش فيها الإنسان وهو سبيل الشر، ولكي يتخلص منه لابد أن يحصل على التنوير. ويقصد بالتنوير "وميض الاستيقاظ"، أي استيقاظ الإنسان من الغفلة والضلال المحاطين به، لمعرفة طريق الحق والخير ولمعرفة انه أكبر بكثير من ذاته ومن العيش في عالم مادي، وأننا إذا أدركنا بشكل مباشر الصعوبات الواقعية وأحزان الحياة فإننا سنحصل على التنوير.[٣٧] ومن هنا سميت البوذية بفلسفة التحرر، لأنها تحرر البشر من حياة المعاناة. فهي مثل النهر الذي يفيض بعد موسم الرياح الموسمية ويجلب الحياة إلى الأرض الجافة. هكذا البوذية تهب للإنسان العقل والوعي وتطهره من الشوائب المعلقة به وتغذي روحه [٣٨].

ومثلما عاهد بوذا نفسه بإنقاذ العالم من المعاناة التي يعيش فيها، وإرشادهم للطريق السليم الذي يصل بهم إلى بر الأمان، فإن سقراط أيضا يؤمن بأنه عُهد إليه – من الإله - برسالة واضحة وهي الاهتمام بنفوس مواطنية وتعليمهم الحق والخير، وكان لزاما عليه أن يطيع تلك الأوامر.[٣٩] فقد وضع نفسه في خدمة الإله بعد أن علم بأنه أحكم البشر، فقد مثلت خدمة الإله لسقراط أعظم خير حدث له في حياته، لأن هذه الخدمة جعلت له هدفا نبيلا يسعى لتحقيقه، فسلك من وراءه طريق الفحص والتفلسف والبحث لكي يعلم بهم سبل الوصول للفضيلة، وأولها عدم الاهتمام بالثروة والمال لكى يخلو الذهن للعلم. فالفضيلة لا تأتي من الثروة، وإنما بالفضيلة تصير الثروة وتصير الخيرات للبشر سواء في حياتهم الخاصة أو العامة. فطريق الفضيلة وخدمة الإله جعلاه لا يخشى الموت، وهذا ما نراه في قوله: (فاتبعوا، أيها الأثينيون، كما قلت لكم، بخصوص هذا، أنيتوس أو لا تتبعوه، برؤني أو لا تبرؤني، ولكن لن أفعل على اليقين شيئا آخر غير هذا، حتى ولو

---

[36] - Bhikkhu Bodhi : Op.Cit., P 89.

[37] - Lama Surya Das : " Buddha Standard Time : A wakening to the Infinite " , Harper Collins Publishers , 2011 , p 12.

[38] - Stephen T. Asma : " Buddha for Beginners " , Beginners LLC, United States of America , 2015 p 14.

[٣٩] - جورج سارتون : " تاريخ العلم " ، العلم القديم في العصر الذهبي لليونان ، القرن الخامس ، ترجمة : لفيف من العلماء ، ج٢ ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٠م ، ص ٧٤.

وجب عليَّ أن أموت مرات عديدة.)[٤٠] فسقراط يسعى لإقناع كل أثيني أن يعول على عقله، فكيف يصبح أفضل وأكثر حصافة ممكنة دون أن يهتم بأشيائه الخاصة؟ فقد أراد سقراط من كل هذا أن يوقظ مدينته من خلال تحذير الشعب الأثيني الذي يبدي اهتمامه ورعايته للمال والسمعة بدلا من الاهتمام بالحكمة والحقيقة. لأن روح المدينة متمثلة في مواطنيها وليست في وجود أرصفتها أو أسوارها، بالتالي حث سقراط الأثينيين على رفاهية أرواحهم الفردية قبل رفاهيتهم المادية.[٤١] ودلل كسينوفون على أن سقراط لم يكن متفاخرًا وذلك بملابسه التي دلت على فقره، فلم يشجع أصحابه أن يكونوا محبين للثروة ولم يطلب ثروة ممن رغبوا للحديث معه [٤٢].

يخبرنا كسينوفون عن سقراط بأنه ذهب إلي أن الفضيلة والعدل شكل من أشكال الحكمة، وتُعد الأعمال العادلة وجميع أشكال النشاط الفاضل من الأشياء الجميلة والجيدة، لذا فمن يعلم الجميل والخير لن يختار أي شيء آخر، ومن يجهلهما لا يستطيع أن يختار، وحتى ولو حاول سيفشل. لذلك بما أن الأفعال العادلة وجميع أشكال النشاط الجميلة والخيرة هي أعمال فاضلة، فمن الواضح أن العدل وكل أشكال الفضيلة الأخرى تأتي من الحكمة [٤٣].

ومثلما ترك بوذا أباه وزوجته وابنه وترك حياة القصور من أجل رسالته، فإن سقراط أيضا ترك الاهتمام بشئونه الخاصة والاهتمام بعائلته في سبيل الاهتمام بشئون الأثينيين ومن أجل خدمة الإله والإعلاء من كلمته. فنراه يقول: (شغلت نفسي على الدوام بشئونكم، معاملا لكل منكم بشخصه كأب أو أخ، مقنعا له أنه من الأفضل الاهتمام بالفضيلة). [٤٤] وكان يتعامل مع الأثينيين بمثابة الأب أو الأخ وهذا إن دل فإنه يدل على إخلاصه ووفائه للأثينيين. لذا وجب على الأثينيين أن يكونوا في حالة أخلاقية مؤسفة من أنفسهم تجاه ما يفعله سقراط من أجلهم، وما ينزلونه به من عقاب وتجاه لومهم له على تنفيذه لرسالة الإله من فحص المضللين. فخدمته للإله استهلكت كل وقته وطاقته، فمن الممكن أن تكون العاطفة والمودة قد وجدت في قلوب الأثينيين تجاه سقراط لكنها تعايشت مع رفض شامل لما يفعله سقراط، فتغلب الرفض على تلك العاطفة، نظراً لانشغالهم وارتباطهم بأشياء لا قيمة لها، وعدم قدرتهم على تحمل اداء سقراط لمهتمه الإلهية [٤٥] .

---

[٤٠] - أفلاطون : " محاورة الدفاع " ، فقرة (٣١ أ ، ب ، ٣٠ج) ، ص١٢٢.

[41] - Roslyn Weiss : "Socrates Dissatisfied" , An Analysis of Plat,s Crito , Lehigh University Pennsylvania , 1998 , p 24.

42 - Xenophon :" Memorabilia" , Book 1 , Chapter 2 , Fragments (5), p5.

[43]- Carlo Natali : Op. Cit., p 9.

[٤٤] - أفلاطون : " محاورة الدفاع " ، فقرة (٣١ب) ، ص ١٢٣.

[45] - Roslyn Weiss : Op., Cit., 26.

فطاعة سقراط للإله تمثلت في ممارسة الفلسفة، أي توجيه سلوك المرء عن طريق تحديده العقلاني لما هو أفضل وأعدل، وتجريده من تصوره الخاطئ للحكمة، وتشجيعه على الانخراط في الفحص الذاتي.

٢- الإصلاح بتربية الرأي العام

كان الهدف من خطاب بوذا الإصلاح من خلال تربية الرأي العام، فهو السبيل لإنهاض المجتمع وتحقيق السعادة للفرد والمجموع، ونشر المحبة والبعد عن الكراهية بإتباع القيم والمبادئ الأخلاقية التي تحرص على البعد عن الأنانية والعداء وحب التملك والسيطرة على الغير وإهدار الحقوق والاهتمام بالدنيا دون وجود أي اعتبارات للوصول إلى السلام الداخلي ووجود الأمان والشعور بالراحة والطمأنينة[٤٦].

وقد وضح بوذا لتلميذه أناندا الأسباب التي تدفع الإنسان إلى حب التملك بقوله: (الاعتماد على الشعور يولد الطمع، والطمع يولد الرغبة الشديدة، والرغبة تولد المطاردة، والمطاردة تولد المكر، والاعتماد على المكر يولد المكسب، والاعتماد على المكسب يصنع القرار، والاعتماد على صنع القرار يولد الرغبة والشهوة، ومن الاعتماد على الرغبة والشهوة يتولد الارتباط والتعلق، والتعلق ينتج منه الملكية، والملكية تولد وجود التردد والبخل، والتردد يتسبب في وجود الدفاعية والعن، وبسبب العنف تُنشأ العديد من الأشياء الشريرة – مثل الاستيلاء على النوادي والأسلحة، والنزاعات، والخلافات، والشتائم، والافتراءات والبطلان)[٤٧]. إن بوذا إن فعل أي شيء فإنه يفعله بتركيز خاص للعقل، وهدوء وبساطة بالعقل، وعن طريق ذلك استطاع أن يجلب التنوير الذي من خلاله حصل على السعادة [٤٨].

ورأي بوذا أن التعاسة والشقاء مصدرهما الأعمال الشريرة، ولو أن كل إنسان استبصر العاقبة التي تنتجها أعماله الشريرة لحول نظره عنها وازدراها، ولكن الذات تعميه وتقيده بالشهوات الباطلة. فدائماً يشتاق إلى المسرات التي تسبب له آلاما، وعندما يخمد الموت أنفاسه لا يجد سلاماً، فيحس بظمأ للوجود، فتولد ذاتيته ولادة جديدة، ويستمر متنقلاً في دائرة الحياة فلا يقدر أن يفر من شر أعماله، فيحس فراغ لذاته وبطلان تجاربه. فالعالم يغص بالخطيئة والحزن لأنه مملوء ضلالاً، والناس فيه يتيهون ولا يفكرون بغرورهم ويزعمون أن الضلال خير من الحقيقة فيتركونها ساعين وراء تيه الذات التي تصل بهم إلى التعاسة والشقاء والاضطراب.[٤٩] فالمتع الحسية ننجذب إليها بسرعة والتي ينتهي بها الأمر بالزوال

---

46 - Bhikkhu Bodhi : Op. Cit., p 80.

47 - Ibid., p 80.

48 - Chris Prentiss : " Zen and the Art of Happiness " , Los Angeles , California , Power Press , 2006 , p 14.

٤٩ - بوذا : الإنجيل ، مصدر سابق ، ص٤٦.

في أحسن الأحوال، ومن هنا كانت إحدى الرسائل الرئيسية لبوذا التي دفعته لترك والده هي أن الملذات التي نسعى إليها تتبخر بسرعة وتتركنا متعطشين للمزيد، ثم نقضي وقتنا في البحث عن الشيء التالي المرضي [٥٠] .

ومثل ما كان بوذا يسعى إلى أن يخلص العالم من الجهل ومن المعاناة فإن جهود سقراط ركزت على ممارسة الفلسفة التي تفيد الآخرين في تحفيزهم للفضيلة وعدم التعرض للجهل. فالفلسفة في جوهرها تتلخص في خدمة الآخرين لممارسة العقل في تحقيق الحقيقة الأخلاقية.[٥١] ومن وراء ذلك فإن سقراط يؤكد بأن الرجل الحكيم هو الذي يعرف أنه جاهل، ويجب على الشباب أن يفكروا بأنفسهم ولا ينتظروا الاعتماد على الغير أو الآخرين.[٥٢] ويدلل بأن كل فعل خاطئ ينتج عنه الجهل، فالإنسان الذي لا يعرف مثلا حقيقة الفضيلة الكامنة في ذاته، سنجده يتصرف بشكل غير أخلاقي، والإنسان الذي لا يفهم الصواب والخطأ ولا يستطيع أن يفرق بينهما، سنجده يختار شيئاً آخر بعيداً عن الصواب. ومن هنا بدأ سقراط بتعريف الفضيلة لأنه دائما ينصح المرء أن تكون لديه معرفة، وفي نفس الوقت أيضا نقول أن سقراط لم يكن هدفه من التمرين أو الفحص الحصول على تعريفات للمفاهيم الأخلاقية الكلية والسلام، فالحياة التي يتم فحصها بهذه الطريقة تعتبر حياة فاشلة، بل يكون الهدف هو التحقق المشترك بحد ذاته، والفحص نفسه ذو قيمة، وربما يسعى سقراط حقا للتعريفات في بعض الأماكن، لاعتقاده بأن وجود هذه التعريفات في متناول اليد تمكن المرء أن يكون لديه المعرفة المطلوبة لاتخاذ الخيارات الصحيحة في الحياة، على سبيل المثال: ما لم نكن نعرف ما هي العدالة؟، فكيف يمكننا أن نأمل أن نتصرف بشكل عادل؟ [٥٣] .

إن الهدف من أسئلة سقراط وتعريفاتها اكتساب المهارات الاجتماعية والعاطفية التي تسمح لنا بمعرفة ما هو صحيح أخلاقيًا وما هو صائب، فسقراط يقول إن كون الشخص صالحًا يتألف، كليًا أو جزئيًا من كونه فيلسوفا أخلاقيا جيدا.[٥٤] من هنا قال أرسطو: (إننا ندين لسقراط بشيئين وهما: المنطق الاستقرائي والتعريف الكلي للمفاهيم)، ويضيف أرسطو بأن كليهما مرتبطان ببداية المعرفة ، فعندما يطرح سقراط سؤالاً، مثلا ما هي العدالة ؟، فهو بذلك يسأل عن تعريف، وتعريف شيء ما معناه وضع حدود له وتحديد جوهره؛ إذن يؤدي التعريف إلى الجوهر، والمعرفة التي تُفهم على أنها تمييز بسيط تنجح. فمن خلال جهود سقراط

---

50 - Robert Wright : " Why Buddhism is True : the Science and Philosophy of Meditation and Enlightenment " , Simon & Schuster Publishers , 2017, p 14.

51- Roslyn Weiss : Op., Cit., p13.

52 - Dave Robinson , Judy Groves : " Introducing Plato " , Op., Cit., p 22.

53 - Jeremy Stangroom , James Garvey: Op., Cit.,p 20

54 - Richard Kraut : Op.Cit., p229..

استطعنا من خلال معرفة جديدة أن نعرف الماهية وأن نحددها، الأمر الذي يقودنا إلى قول ومعرفة جوهر الأشياء، واكتشاف جوهرها [٥٥].

يقول سقراط أن القيمة الأساسية ليست متمثلة في الحصول على الحقيقة، وليس غرسها في قلوب أصحابه وإنما الرغبة في الحقيقة والبحث عنها في المحادثة. والجدير بالذكر أن الفلسفة كما تجري الآن لا يزال لها نصيب في ذلك، ترافق المحاضرات في الجامعات مع وجود ندوات تهدف إلى المناقشة، وتلي المحادثات في المؤتمرات أسئلة وأجوبة، فلا تزال الفلسفة حتى الآن هي المشروع الجماعي الذي كانت عليه أيام سقراط.[٥٦] واستكشف سقراط الطريق لتجسيد سلوكنا مع الفضائل بما يتماشى مع الواقع، فرأى سقراط أنه لصالح الآخرين الاهتمام بالذات الروحية الحقيقية والتأكد من أن سلوك الإنسان الشخصي يتماشى مع فضائل هذه الذات الحقيقية، وبالتالي ستظهر بشكل خير[٥٧].

وكانت الشجاعة من ضمن الفضائل التى كان سقراط يشيد بها، ويعرفها بأنها القدرة على تحمل الألم عن طريق التغلب على الخوف، في السيطرة على الرغبات، ومقاومة الملذات. ويعتقد سقراط أنه يمكن إظهار الشجاعة ليس فقط في ساحة المعركة وليس فقط في التعامل مع المرء والمجتمع والطبيعة، ولكن أيضاً في تعامل المرء مع نفسه بمشاعره الخاصة. ومن هنا ميز سقراط بين الشجاعة والاعتدال، فإذا تحمل الرجل الألم أو تغلب على الخوف في مواقف معينة نمدحه على شجاعته، ولكن إذا قاوم بعض الملذات أو سيطر على رغبات معينة، ربما لأنه اعتقد أنها خاطئة أو ضارة، فإننا في هذه الحالة نمدحه لاعتداله. ولذا يدخل سقراط الرغبات والمتع في قائمة مشاعره فوق مفهوم الشجاعة، لأن الرغبات والملذات تكون فيها حالات إغراء وصراع داخلي وأخلاقي.[٥٨] ويخبرنا كسينوفون أن سقراط وضح بأن التدريب والاعتدال، كانا ضروريين لهزيمة الملذات الجسدية والتصرف بحكمة [٥٩].

---

55 - Julian Marias : Op. Cit., p82.

56 - Jeremy Stangroom and James Garvey : Op ., Cit., p21.

57 - William Bodri : Op., Cit., p 10, 14.

58 - Gerasimos Santas : " Socrates at Work on Virtue and Knowledge in Plato's Laches" , the Philosophy of Socrates : A collection of Critical Essays , edited by : Gregory Vlastos , Anchor Books edition , Princeton , 1971, p 186.

59 - Carlo Natali : Op. Cit., p 6.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر

١- أفلاطون: محاكمة سقراط (محاورات أوطيفرون، الدفاع، أقريطون)، ترجمة: عزت قرني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، القاهرة، ٢٠٠١م.
٢- --------: ثياتيتوس، ترجمة أميرة حلمي مطر، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠.
٣- --------: القوانين، ترجمه من اليونانية إلى الإنجليزية: تيلور، نقله إلى العربية: محمد حسن ظاظا، مطابع الهيئة الأميرية المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.
٤- بوذا: الإنجيل، ترجمة: عيسى سابا، مكتبة صادر، بيروت، ١٩٥٣ م.

ثانيًا:- المراجع العربية

٥- جورج سارتون : " تاريخ العلم " ، العلم القديم في العصر الذهبي لليونان ، القرن الخامس ، ترجمة : لفيف من العلماء ، ج٢ ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٠م.
٦- محمود مراد : مدخل إنساني تطبيقي لدراسة الفلسفة اليونانية دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٢٠م.
٧- مصطفى النشار : " تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي "، ج٢ : "السوفسطائيون ،سقراط، أفلاطون" ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٠م.
٨- ولتر ستيس تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ، ١٩٨٤م.

ثالثًا:- المراجع الإنجليزية

1- Bhikkhu Bodhi : "In the Buddha,s Words: An Anthology of Discourses From the Palicanon" , Wisdom Publication , Somerville, United States.
2- Chris Prentiss : " Zen and the Art of Happiness " , Los Angeles , California , Power Press , 2006.
3- Chris Prentiss : " Zen and the Art of Happiness " , Los Angeles , California , Power Press , 2006.
4- Christopher Rowe: "Self Examination", The Cambridge Companion to Socrates, edited by: Donald R. Morrison, Cambridge University Press, New York, 2011.
5- Debra Nails :" The Trial and Death of Socrates", A companion to Socrates, Edited by: Sara Ahbel -Rappe & R. Kamtekar, Black Well Publishing Ltd, Oxford, 2006.

6- Gerasimos Santas : " Socrates at Work on Virtue and Knowledge in Plato's Laches " , the Philosophy of Socrates : A collection of Critical Essays , edited by : Gregory Vlastos , Anchor Books edition , Princeton , 1971.
7- Harold Tarrant Socratic Method and Socratic Truth" , A Companion to Socrates , Edited by :Sara Ahbel – Rappe and Rachana Kamtekar, Black well Publishing Ltd, Oxford, 2006.
8- James Kingsland : " Siddharth,s Brain" , Un Locking the Ancient Science of Enlightenment , Harper Collins Publishers , New York, 2017.
9- Jeremy Stangroom and James Garvey: The Great Philosophers" , Arcturus Publishing Limited , London , 2012.
10- Jonathan Landaw , Stephan Bodian and others : "Buddhism For Dummies" , Wiley Publishing , Inc, Canada , 2011.
11- Josiah Ober: "Gadfly on Trial Socrates as Citizen and Social Critic ", Republished with Permission in C.Black Well,ed., Demos :Classical Athenian Democracy , Ober , 2003.
12- Lama Surya Das : " Buddha Standard Time : A wakening to the Infinite " , Harper Collins Publishers , 2011.
13- Peter Harvey: An Introduction To Buddhism , Teachings, History and Practices, Published in the United States of America, Second Edition, Cambridge University Press, New York, 2013.
14- Richard Kraut : " The Examined Life" , A Companion to Socrates , Edited by :Sara Ahbel – Rappe and Rachana Kamtekar, Black well Publishing Ltd, Oxford, 2006.
15- Robert Wright : " Why Buddhism is True : the Science and Philosophy of Meditation and Enlightenment " , Simon & Schuster Publishers , 2017.
16- Roslyn Weiss : "Socrates Dissatisfied" , An Analysis of Plat,s Crito , Lehigh University Pennsylvania , 1998.
17- Stephen Mitchell : " Dropping Ashes on the Buddha " , The Providence Zen Center , Inc , New York , 1976.
18- Susan Bickford : "This Way of Life , This Context" : Rethinking Socratic Citizenship", The Cambridge Companion To Ancient Political Thought, Edited by: Stephen Salkever , Cambridge University Press , New York , 2009.
19- William Bodri: Socrates and the Enlightenment Path", Red Wheel / Weiser, LLC, Boston, 2001.